

التاريخ في سير أبطاله

ابراهيم لنكولن

هجرة الاكراهج الى عالم التربية

للأستاذ محمد الخفيف

يا شباب الوادي اخذوا معاني العظة في نسفها
الأعلى من سيرة هذا المصطفى العظيم

(تمة)



برز جرائت إلى الميدان وفي نفسه من المزم بقدر ما في فؤاده
من الأمل ، وكأنما سرت حزمته إلى قواده وجنوده فامهم
إلا من وطد للنفس على أن يخوض أهوال القتال إلى النصر ،
وينبع من هؤلاء البواسل قائدان صار لها في تلك الحرب خطر
عظيم هما شيرمان وشريدان

وزحف جرائت بجيشه في مايو عام ١٨٦٤ وكانت خطته
أن يواصل الزحف ما وسعه للقتال حتى يأتي رتشمند عاصمة

الجنوبيين فيحصرها . ولقد لازمه النصر في هذا الهجوم على الرغم
من مقاومة أعدائه، وما زال يدفعهم أمامه حتى أصبح على مقربة
من عاصمتهم ؛ وكانت تصل أنباء انتصاره إلى العاصمة فتهزها هزاً
وكان الناس يجتمعون حول البيت الأبيض فيطل الرئيس عليهم
ويخطبهم وقد سره أن ذهب عنهم الروح

وكذلك سار شيرمان مبتدئاً من الغرب، وراح يدفع أعدائه
أمامه، وإنهم ليتأزعون الأرض شبراً شبراً ويبركون جيشه هزاً
شديداً حتى واثه النصر عليهم في اليوم الثاني والعشرين من
شهر يوليو، فسقطت في يده مدينة أتلنتا ببدأ أيام، وهي موقع حصين
ومركز حربى خطير ، وكان على رأس الجنوبيين في تلك الجهة
قائدهم هود ، وهو من ذوى البأس ولقد لم شمل جيشه وخاض
الحرب مرة أخرى ولكنه ما لبث أن طووته الهزيمة ، وسر الرئيس
وأصحابه بأنهم هود وجنوده فلقد كانوا يرجسون منه شراً

ونشط الشماليون في البحر وضيءوا الخناق على أعدائهم
فأذاقوهم لباس الجوع والخوف ، وكانت سيطرة فراجت على البحر
وثيقة ، فكان بذلك موقفه عاملاً من أكبر عوامل النصر

وراح جرائت يبدل كل ما في وسعه ليحيط بالقائد الكبير
(لى) قائد الجنوبيين ، فانه يدرك أن تطويقه خير وسيلة لمزيمته
وإجباره على التسليم ؛ وكان جرائت يدرك أن عدته وجنوده
أوفر مما هو لدى عدوه منها ، ولذلك عول أن يشد عليه الرماق
وكان لنكولن وأصحابه يتلقون هاتيك الأنباء الطيبة فتطمئن
نفوسهم ، ولكن الرئيس كان لا يفتأ مهموماً ضائق الصدر ؛
وكيف يطبق قلبه الكبير أن يعلم نياً هاتيك الضحايا دون أن
يتحرك ؟ لقد كان يجزع أشد الجزع لم رأى الأمهات والزوجات
يقفن في طريقه أو يجتمعن حول البيت الأبيض متسائلات
وإنه ليسأل الله أن يجعل للناس من هذا البلاء مخرجاً ...

وبينما كان جرائت وشيرمان يرومان بجيشيهما أهل الجنوب
على هذه الصورة ، زحف أحد قواد الجنوب ويدهم إرلى زحفاً
باغت به وشنجلتون إذ سار منها على سبعة أميال ... ولقد كان
عمله هذا من أسوأ ما لاقته تلك المدينة في هذه الحرب، فأصبح
الخوف بمد الأمن وما أوجع للكربة بعد الفرج. ولكن جرائت
لم يلبث أن أرسل شريدان فأقصى هذا المدور ورماه بالهزيمة وكان

ذلك في أوائل سبتمبر عقب سقوط أتلنتا بيوم واحد ...

وكان انتصار الجيوش على هذا النحو مما قضى على كيد الكائدين من خصوم الرئيس إذ كانت البلاد تتأهب للانتخاب ؛ وكان الديمقراطيون يذمون في الناس أن من مصالحهم أن يختاروا رئيساً غير هذا الرئيس ، وراحوا تارة يقولون إن الحكومة من الرجفة الحربية قدميت بالفشل منذ قامت الحرب ولا يحصى من أن تتبع في الحرب سياسة أقوى وأسرع من سياستها ، وتارة أخذوا يطالبون بمصالحة أهل الجنوب ووضع حد لهذا البلاد ، وهم في ذلك يرشحون ما كيلان للرياسة ضد إبراهيم ، ولقد اختاره لذلك مؤتمر الذي انعقد في شيكاغو في أغسطس من ذلك العام وكان بعض الجمهوريين من حزب لنكولن يدعون إلى انتخاب غيره إذ كانوا ينقمون عليه كما يزعمون ابتعاده عن مبادئ الحزب وروحته ، فهم يخالفونه فيما أعلنه من غداة تحرير العبيد من أن ذلك كان من أجل ضرورة حرية وهم يسيرون عليه مملكة تجاه الولايات الوسطى : تجاه أهل الجنوب ، كما أنهم يقولون إن الحرب لا تسير على خير ما يرجى .

وكان هؤلاء الجمهوريون يرشحون جرانت تارة ، وفريمونت تارة ، ولكن معظمهم كان يميل إلى تشيس وزير المالية ، وكان تشيس هذا من أكفأ الرجال ، وكان الرئيس يحترم آراءه ويحرص على أن ينفذ بها كما كان يشهد له بالذكاء ويقر بنضله ... ولكنه كان دائم الشكوى من الرئيس وكثيراً ما ضايقه بتقديم استقالته من الحسكر ، وكانت أخرى تلك الاستقالات في صيف هذا العام ، ولشد ما أدهش الوزير أن قبلها الرئيس في غير تردد . وكان تشيس بنفسه على الرئيس مركزه ويستقد أنه أحق به منه وأجدر . وما كان الرئيس كما أسلفنا يحرص على الحسكر إلا أن يكون وسيلة لتحقيق غرضه ، قال ذات مرة يرد على المناهين إلى ترشيح جرانت : « إذا كان الناس يعتقدون أن القائد جرانت يكون أسرع في القضاء على الثورة إذا كان في مركزى فإن أخطئ عنه له »

وعلى الرغم من ذلك كان خصومه يدعون أنه حريص على الحسكر مولع بالرياسة ، وكان من أندر هؤلاء الخصوم وأنشطهم للصحن جريلى ، ذلك الذى طالما حرص الرئيس على مودته وعمل على إرضائه ... على أن الرئيس كان على علم بهذا كله فلم يعبأ به وذلك لأنه كان يجعل اعتماداً على ظنة الناس ، وهل اعتمد على غيرهم منذ كان يلوح بين الأحرار ؟ وجاءت بعد ذلك أنباء انتصار

جندته فكان ذلك أبلغ رد على ما يزعم المخالفون والخوارج ولقد كان مؤيدو الرئيس من الجمهوريين أعز نفراً وأعلى في البلاد صوتاً ، وهؤلاء أجموا أمرهم على ترشيحه في مؤتمر الذى عقده في الثامن من يونيو عام ١٨٦٤ ، وكانت حماسهم له جديرة به شديدة على خصومه وآزميه ... وحمل إليه نبأ ذلك فتلقاه على داذته في دعة ، قال : « إنهم رشحنى لا لأنهم رأونى أعظم وأفضل رجلاً في أميركا ، وإنما كان ذلك لأنهم لم يروا من الحكمة أن يستبدلوا الخيل أثناء عبورهم الماء ، ولأنهم رأوا بعد ذلك أنى لست فرساً بلع من السوء مبلغاً لا يمكن معه استخدامه ولو في مشقة أثناء محاولة ذلك العبور » ...

وكان المؤتمر قد عبر عن رغبته في تعديل الدستور بحيث لا يكون من موادها ما يتضمن الاعتراف بنظام العبيد حتى لا يتعارض قرار التحرير مع نصوص الدستور . ولقد وافق الرئيس على ذلك قائلاً : « إن مثل هذا التعديل المقترح يجيء غاية مناسبة ضرورية للنجاح النهائى لفضية الاتحاد ، وهذا وحده يقف رداً على كل نيجن ... وإن الدين يوافقون على الوحدة بلا شرط من الشماليين والجنوبيين يدركون خطورته ويتعاملون به ، فياسم الحرية والوحدة مجتمعين دعونا نعمل على أن نكسبه صفة شرعية وأثراً عملياً . » وسمع أن ولاية ماريلند قد عدلت دستورها على هذا الأساس فعلاً فاعتبط قائلاً « إن ذلك عندي يساوى انتصارات كثيرة في الميدان »

وحسب جريلى أنه واجد غمزة أخرى في سياسة الحرب فراح يتندبها وبتطاولها ويدعو إلى الصلح قائلاً إن البلاد قد باتت على شفا جرف هار وإن السلم على شروط معقولة خير من هذه الحرب التى نجت البلاد منها ورزحت تحت أعبائها . وبما ساقه في هذا المجال أنه على صلة بقوم من الجنوب يقولون الدليم على أساس الوحدة والقضاء على العبودية ، وهنا لم يتردد الرئيس أن يرسل إليه رسالة إنه على استعداد أن يلقى أى رجل أو جماعة من الجنوب يفاوضونه على هذا الأساس على شرط أن يكونوا مسؤولين وليكن جريلى شاهداً على ذلك ؛ وعاد جريلى مستخدماً وقد رأى أن الدين دعوه إلى السلم من الجنوبيين قرم لا أهمية لهم .. وتطلبت الحرب عدداً جديداً من الرجال وأشفق أن لا تكونى أن يدعو البلاد إلى زجال فى مثل هاتيك الظروف ، ولكن هل كان ذلك يحجم من أمر يعتقد سواها وعلى الأخص

إذا كان هذا الأمر يتعلق بالحرب بله الحرب تحت قيادة جرائت ؟
لم يحجم الرئيس ولم يتردد وأصدر أمره في ثبات وجراءة ...
وجاء يوم الانتخاب فكان فوز الرئيس عظيماً كما كانه
تواضعه غداة فوزه عظيماً . قال وما أجل ما قال : « إلى أمرف قلمي
وأرى غيظي لا يشوبها شائبة من الفوز لشخصي ، وإنى لا أعترض
على بواعث أى شخص ضدى . وليس مما يسرنى أن أظنر على
أحد ولكنى أشكر الله على هذا البرهان للشاهد على اعتراف الناس
أن يؤيدوا الحكومة الحرة وحقوق الانسانية »

وكان المدعون إلى السلم ينشرون مبدأهم في العاصمة الشمالية
ولم يكنوا عن ذلك منذ الصيف . وفي الشتاء وجدت دعوتهم قبولاً
لدى الكثيرين في العاصمة الشمالية حتى لقد أخذوا على الرئيس
أنه يصم أذنه عن هذه الدعوة ... وحدث أن أرسل جفرسون
دافز رسولاً إلى لتكولن يدعو إلى السلم ويقترح عقد مؤتمر
لتقرير ذلك . وكتب الرئيس لتكولن رداً حمله ذلك الرسول إلى
جفرسون وفيه يوافق الرئيس على عقد المؤتمر ؛ واجتمع في مركز
قيادة القائد جرائت ثلاثة من قبل أهل الجنوب وناب عن
الشماليين سيوارد ثم لحق به الرئيس ، وعرض الشماليون شروطهم
فتم تحز قبولاً لدى خصومهم . ورأى الرئيس أن في الأمر خداعاً
وأهم لا يريدون سوى أن يكسبوا الوقت بالمفاوضة ربها بمدون
ما يستطيعون من قوة ... ولذلك نراه ينصح إلى جرائت ألا يتهاون
أو يخفف من وطأته وانفض المؤتمر ولم يصل إلى رأى ...

وأوضح الرئيس سياسته في خطابه الرسمي الذى ألقاه غداة
تسليمه أزمة الأمور للمرة الثانية . وإنك لتجدها واضحة في تلك
العبارة الجليظة التى اختتم بها ذلك الخطاب قال : « والآن فن غير
موجدة على أحد ، بل مع الاحسان للجميع ، والثبات على الحق
كما يطلب الله أن نرى الحق ، دعونا نجهد لنفرغ من هذا العمل
الذى نحن بصدده ، وأن نضم جراحات الأمة ، وأن نمنى بهؤلاء
الذين قاموا بالجهاد وبأرامهم وأبتامهم . وأن نبذل كل ما فى وسعنا
نصل إلى السلام الدائم ونمزج بين أنفسنا وبين جميع الأمم »
وجعل الرئيس ينتظر أخبار الميادين ، وكثيراً ما كان يقضى
وقتاً طويلاً في غرف البرق يتربص ويتوقع ... وكثيراً ما كان
الرئيس بشخص بنفسه إلى مراكز الجنود فيزورها واحداً بعد
الأخر ؛ وجاءت البسائر بالنصر بتلو للنصر . ففي الحادى والمشرين
من ديسمبر أخذ شيرمان مدينة سافانا بقوة فأبرق إلى الرئيس

يقول : « أرجو أن تسمح لى أن أقدم إليك مدينة سافانا كهدية
في عيد الميلاد » واستمر شيرمان في زحفه فاستولى على كولومبيا
وشارلستون ، وما زال حتى دخل ولاية كارولينا الشمالية وأصبح
على اتصال بجنود جرائت وبسائر أركشكت جنودها أن تحيط
بجيش الشماليين

وكان جرائت يتخنق في أرض الجنوبيين لا بالوم زالا
كأهول ما يكون النزال ، وكانت ضخمايه كثيرة يدمى لها قلب
الرئيس ، ولكنه كان لا يلين وما لبث هو وأعوانه أن هزموا
الجنوبيين في كل مكان حتى لم يبق في الميدان غير لى ...

وحاصر جرائت مدينة رتشمند ردام حصاره لها طوال
أشهر الصيف من عام ١٨٦٤ وأشهر الشتاء من عام ١٨٦٥ ، وفي
السابع والعشرين من مارس التقي لتكولن وجرائت وشيرمان
على ظهر زورق تجارى في نهر جيمس بالقرب من مركز القيادة
وتداول ثلاثتهم في الأمر . ولشد ما تألم الرئيس أن علم أنه لا يزال
دون النصر معركة حامية ، وراح يتساءل في جزع : « ألا يمكن
تجنب تلك المعركة ؟ ألا يمكن تجنب تلك المعركة ؟ »

وأمكن تجنب تلك المعركة الحامية فلقد تمكن جريدان وكان
إلى يسار جرائت أن يقطع على (لى) آخر منفذ للهرب فتم لها
تطويقه ، وأصبح تسليمه أمراً لا بد منه . وفي اليوم الثالث من
ابريل سقطت رتشمند التى كانت طرودة هذا الصراع الضيف
وأنى للكلام أن بصف مبالغ ما كان بالعاصمة من شعور
الفرح والحيور .. لقد بات الناس وأفاقوا على مثل مظاهر العيد .
وأى عيد أجل من هذا الذى يبشر الناس فيه بانفراج النمة
واتحاد الأمة ؟

وكان الرئيس في المسكر منذ شهر مارس يبيت مع الجنود
ويستطلع الأنباء كل يوم ولقد قال الجهد والاعياء من جسده
حتى ليدو كالرييض وهو الرجل الذى عرف فيما سلف بقوة
ووفرة حيويته ... ولما بلغه سقوط رتشمند وصل إليها في بساطة
وهدهده ، وليس معه إلا بحارة قارب حربى كان يرسو على مقربة
منها فلا خيل من حوله ولا جنود يفسحون له الطريق . ودخل
الرئيس العظيم المدينة يمسك بيده يد ابنته الصغير ناد وهو يمشى
على الأرض هوناً وليس في وجهه زهو ولا تطلوول
وهرع الناس من كل فج يشهدون الرجل الذى دوت البلاد

رأيت حلما كريها لا أرى مثله إلا قبيل حادث عظيم .. واجتمع المجلس ليرى ماذا تفعل الحكومة لاصلاح ما أفسدته الحرب . وفي هذا الاجتماع عارض الرئيس القائلين بالانتقام من أدل الجنوب وصاح بهم « كفانا ما ضحينا من الأنفس . يجب أن نطلق في قلوبنا السخائم إذا أردنا أن نقيم الوحدة والوفاق » ألا ليت أعدده سمومه وهو يقول ذلك ، ألا ليتهم سمومه ...

وركب الرئيس وزوجه في نزهة عصر ذلك اليوم . وفي المساء ذهب ليشهد رواية تمثيلية في المسرح ، وكانت الصحف قد نشرت اعترافه الحضور ومعه القائد جرائت ، وتخلف القائد لأسر ما ، وذهب الرئيس وجلس في مقصورة هو وزوجه وقائد من القواد . وفي الساعة العاشرة والنصف تسلل إلى باب مقصورته رجل فاقحمه وفي يده مسدس أطلقه على رأس الرئيس ... وكانت في يده الأخرى مدية طمن بها للقائد ، وقفز إلى خارج المسرح وكان هو وشركاؤه قد أعدوا حصانا ليهرب به عدوا ... وروعت العاصمة بالنبا الفاجع ، وتلات أمة تحمل شهيدها الأكبر ومحررها العظيم إلى مقبره ليسترخ الراحة الأبدية ، وذهبوا بجثمانه لتبطل إلى سبرنجفيلد في نفس الطريق الذي جاء منه إلى العاصمة قبل ذلك بأربع سنوات ، والناس على جانبيه يشبهون اليوم ويجهشون ولا يملكون غير الدمع في هذا الخطب الفادح . ودفن الرئيس إلى جانب ابنه الصغير ... ألا ليتهم حملوه إلى النجاة ليدفن حيث نشأ وحيث شب

الضيف

تم ،

باسمه ، فلما رأوه شمروا جميعاً نحوه بمنزلة ما يشمر الأبناء نحو أبيهم ، وهو بين الجموع رابط الجأش يظهر قوامه الطويل للأعين . وتلفت الرئيس فإذا بجمع السود تتقاطر من كل صوب وهم يملأون الجرب بهتافهم باسم مخلصهم ومعلم أغلالهم ، وكانوا من حوله يرقصون ريتزون في الهواء لا يدرون ماذا يفعلون للتعبير عما في قلوبهم نحو هذا المرحر الأعظم ... ثم تقدموا متراجمين فتلاتوا على الأرض أمامه يقبلون قدميه وهو يرفهم بيديه ويمسح بهما على جباههم وأكتافهم والدموع تتساقط كبيرة ساخنة من عينيه الواسعتين فتجري على عياله الكريم

وحار الرئيس برهة ماذا يقول وهو الذي لم يعرف قبلاً عياً ولا حصراً ، ثم ناداهم قائلاً « أي أصدقاؤي للمساكين . أنتم أحرار ، أحرار كالهواء . إنكم تستطيعون أن تطرحوا اسم للعبودية وتطأوه بأقدامكم ؛ فأنكم لن تسموه بعد اليوم ... إن الحرية حقكم الذي منحكم الله كما منح غيركم » وتأم الرئيس من أن يخرؤا سجداً على قدميه فقال : « لا تسجدوا لي ، هذا ليس بالصواب ، يجب أن تسجدوا لله وحده وأن تشكروه على الحرية التي سوف تتمتعون بها منذ اليوم ... »

وخذ الرئيس إلى وشنجنون وفي وجهه مثل ما يكون في وجوه الأبرار الصالحين ، والناس حول ركابه يهتفون باسم « أبيهم إبراهيم » بطل الحرية ومعلم الأصفاد ومسيد الوحدة إلى البلاد وحامي دستورها ورسول حاضرها إلى غدما ...

وفي اليوم التاسع من هذا الشهر المشهود سلم لي جيشه للقائد جرائت وتلفت العاصمة النبا وتلقاه الرئيس ، وتنفس الناس للصعداء . وأحس ابن الأحرار بمد هذا الكفاح الطويل للشاق أن قد آن له أن يسترخ ولو بضمة أيام ... وتراحم الناس حول البيت الأبيض وهم من فرط سرورهم يبدون كأعاطاف بهم طائف من الجنون ، وأطل الرئيس عليهم وهم يتصايحون ويتواثبون ويقذفون بقيعاتهم في الهواء ، فلم يدر ماذا يقول . ثم مسح يده الدموع المنحدرة من عينيه وطلب إليهم أن يهتفوا ثلاثاً بحياة القائد جرائت ورجاله ، وحياة القواد البحريين ورجالهم ، وعاد إلى داخل حجرتة ...

وفي اليوم الرابع عشر كان على مجلس الوزراء أن يجتمع ظهراً ، وكان جرائت ممن سرف يشهدون الاجتماع . وكان يبدو على عياله الرئيس قبل الاجتماع شيء من المهم ، قال لبعض أصحابه : إنى

في مهزل بنابر المقبل

تظهر نسمة الموسم الجديد

القدر الساخر

للطائين

أنور كامل داوود و صبحي باسيلي يوسف